من أحكام صدقة الفطر، وختام رمضان

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي جَعَلَ الزكاةَ طُهرةً للصائمينَ وطُعمَةً للمساكينَ، والصلاةُ والسلامُ عَلَى رسولِ اللهِ الأمينِ، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ، وأشهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أمَّا بعدُ:

فَقَد أَوْجَبَ اللهُ زكاةَ الفِطْرِ على المسلمينَ، رَوَى البخاريُّ ومسلمٌ عن ابنِ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهُ- أنهُ قالَ: **" فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ "**.

والصَّاعُ مِقدارُهُ ثلاثُ كيلواتٍ تقريبًا، مِن قوتِ البَلَدِ على كُلِّ مَن غَرَبَتْ عليهِ شَمْسُ آخِرِ يومٍ مِن رمضانَ، وهُوَ مالِكٌ لِمَا فَضُلَ عن قوتِهِ وقوتِ مَن يعولُ يومَ العيدِ وليلتَهُ، ولو كان فقيرًا؛ لِعُمومِ حديثِ ابنِ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهُ- المُتقدِّمِ، وَلِمَا ثبَتَ عندَ عبدِ الرزَّاقِ أنَّ أبا هريرةَ -رضيَ اللهُ عنهُ- أوجَبَهَا عَلَى الفقيرِ

والغَنِيِّ، أمَّا الحَمَلُ فيُستحَبُّ إخراجُ زكاةِ الفِطْرِ عَنْهُ؛ لِمَا ثَبَتَ عند ابنِ أبي شيبةَ عن أبي قِلَابَةَ قالَ: **" إِنْ كَانُوا لَيُعْطُونَ حَتَّى يُعْطُونَ عَنِ الْحَبْلِ"**.

ويَجِبُ أنْ يُخرِجَهَا الرَّجُلُ عن نفسِهِ وعَمَّنْ تَلْزَمُهُمْ مُؤْنَتُهُ وَنَفَقَتُهُ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ أنَّهَا كانَتْ تُخرِجُ صَدَقَةَ الفِطْرِ عَمَّنْ تَمُونُ مِن الصَّغيرِ والكبيرِ والحاضِرِ والغائِبِ، وَلَا يَجِبُ أنْ يُخرِجَهُ الرجُلُ عن السائِقِ والخادِمَةِ، بَلْ يجبُ أن يُخرِجُوا عن أنفُسِهِمْ، وإِذَا أرادَ أنْ يُخرِجَ عنهُمْ فَلْيَستأذِنْهُمْ حتَّى يَنْوُوا ويَأْذَنُوا لَهُ.

والأفضلُ أنْ تُؤدَّى يومَ العيدِ قبلَ الصلاةِ، لِمَا تقدَّمَ عن ابنِ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهُ- أنهُ قالَ: **" وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ "**، ويجوزُ إخراجُهَا قبلَ يومِ العيدِ بيومٍ أو يومينِ؛ لِمَا رَوَى البخاريُّ عن ابنِ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهُ-: **" يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ "**.

ولا يجوزُ تأخيرُهَا عن يومِ العيدِ مَعَ القُدْرَةِ، وَمَنْ أَخَّرَهَا بِلَا عُذْرٍ وَجَبَتْ عليهِ التَّوبَةُ مِن هذا الذنبِ ثُمَّ قضاؤُهَا عاجِلًا.

وَلْيَحرِصْ المسلمونَ على التَّحرِّي في أدائِهَا بأنْ تَصِلَ إلى مُستَحِقِّيها مِن المساكينِ والفقراءِ، فإِنَّهَا أمَانَةٌ واجِبَةٌ متعلِّقَةٌ بالذِّمَّةِ، فلابُدَّ مِن التثبُّتِ في إيصالِهَا إلى مُستحِقِّيهَا، ويجوزُ أنْ يُعطَى الفقيرُ الواحدُ أكثَرَ مِن صاعٍ بِمَا أنهُ لا يزالُ فقيرًا، ولو عُلِمَ أنهُ يبيعُهَا ويستفيدُ مِن ثَمَنِهَا.

ويحرُمُ على مَن تصدَّقَ بصدَقَةٍ أنْ يشتَريها؛ لِمَا رَوَى البخاريُّ عن عُمَرَ بنِ الخطابِ -رضيَ اللهُ عنهُ- أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**لَا تَبْتَعْهُ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ**» بخلافِ غيرِهِ فيجوزُ أن يشتريَها.

وزكاةُ الفطرِ متعلِّقَةٌ بالأبدانِ والأشخاصِ، بخلافِ زكاةِ الأموالِ فإنَّهَا متعلقةٌ بالأموالِ، فيُخرِجُهَا الرجلُ في البلدِ الذي غَرَبَتْ عليهِ شمسُ آخرِ يومٍ مِن رمضانَ وهوَ فيهَا، فإذَا غَرَبَتْ الشمسُ على مِصْرِيٍّ وهوَ بالرياضِ فيُخْرِجُهَا بالرياضِ، وإِذَا غَرَبَتْ الشمسُ على سعودِيٍّ وهوَ بالقاهِرَةِ فيُخرِجُهَا بالقاهِرَةِ.

فيُخطِئُ بعضُ الناسِ ويُخرِجُ زكاةَ الفطرِ نقودًا ومالًا، وهذا لا يُجزِئُ لِمَا تقدَّم مِن حديثِ ابنِ عُمَر -رضيَ اللهُ عنهُ-: " **فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ** ..." الحديث، والواجِبُ أنْ يُخرِجَهَا صاعًا مِن قوتِ البَلَدِ، بأنْ يُعطِيَ الفقيرَ طعامًا أو يعطِيَ وَكِيلَهُ مالًا ليشتَرِيَ للفقيرِ طعامًا ثُمَّ يُعطِيهِ الفقيرَ طعامًا، أمَّا أنْ يُعطِيَ الفقيرَ مالًا ونقودًا فهذا لا يُجزئُ ولا يصِحُّ.

وليسَتْ العِبْرَةُ بالنظَرِ إلى انتِفَاعِ الفقيرِ وإنَّمَا العبرةُ في التعبُّدِ للهِ كَمَا يُريدُ اللهُ، وكَمَا بيَّنهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فَفَرْقٌ بينَ زكاةِ المالِ التي هِيَ متعلقَةٌ بالمالِ فتُخرَجُ مالًا وبينَ زكاةِ الفطرِ التي هِيَ متعلقَةٌ بالأشخاصِ فتُخرَجُ طعامًا.

وَلَا يَصِحُّ أنْ نُعارِضَ الشريعةَ بعقولِنَا وَلَا بأذواقِنَا وَلَا باسْتِحساناتِنَا، بَلْ يجب أنْ يكونَ موقِفُنَا مِن أدِلَّةِ الكتابِ والسنةِ: سَمِعْنَا وأطَعْنَا.

أقولُ ما تسمعونَ، وأستغفِرُ اللهَ لي وَلَكُمْ فاستغفروهُ، إنهُ هوَ الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، أمَّا بعدُ:

فَهَا هُوَ قَدْ ذَهَبَ رمضانُ إِلَّا قليلًا، فَمَا أَسْرَعَ ذهابَهُ وانقِضاءَهُ على الجادِّينَ والمُفَرِّطينَ، إِلَّا أنهُ يَبْقَى للجادِّينَ آثارُ جِدِّهِمْ، وتكونُ أعمالُهُمْ -برحمةِ اللهِ- ذُخْرًا لهم عندَ لقاءِ ربِّهِمْ، فَهُمْ عندَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ومَوْلَاهُمْ فَرِحُونَ مَسْرُورُونَ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩] بِخِلَافِ المُفَرِّطينَ فأقَلُّ أحوالِهِمْ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الفُرَصَ الكبيرَةَ المُقَرِّبَةَ إلى اللهِ إنْ لَمْ يكونُوا عَمَّروا ساعاتِ حياتِهِمْ بِمَا يُسْخِطُ خالِقَهُمْ.

وَكَمْ ستكونُ خَسَارَةُ المُحارِبِ للهِ بمعصيتِهِ مِن رؤيةِ المحرماتِ وسماعِهَا، وأكلِ الحرامِ مِن الرِّبا والرِّشوَةِ والظُّلْمِ للخَلْقِ، والتعبُّدِ بالبِدَعِ والدِّفاعِ عَنْهَا وعَن أهلِهَا بِحُجَّةِ العادَةِ وأنَّهَا مألوفَةٌ أو بِحُجَّةِ إرضاءِ المُجتَمَعِ والخَلْقِ.

وسيأتِي اليومُ الذي يتمنونَ فيهِ الرجوعَ إلى الدُّنيا لإصلاحِ العَمَلِ كَمَا قالَ تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

وَكَمْ سَيَلُومُ المُفَرِّطُ -كالمتعصِّبِ للبِدَعِ وأهلِهَا، والغافِلِ عن طاعةِ اللهِ- شيطانَهُ الذي أغواهُ بمطاوَعَةٍ مِنْهُ كَمَا قالَ تعالَى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ

فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

يا طُلَّابَ الجِنَانِ كابِدُوا أَنْفُسَكُمْ وسوقوهَا إلى مَا فيهِ نَجَاتُهَا.

يا طُلَّابَ الجِنَانِ إِنَّ الرَّاحَةَ المُؤَقَّتَةَ المُنَغَّصَةَ تُفَوِّتُ الرَّاحَةَ الدَّائِمَةَ المُنعَّمَةَ الصَّافِيَةَ مِن الأكدارِ، فاجْعَلوا راحَتَكُمْ الرَّاحَةَ الكُبْرَى عندَ لِقَاءِ رَبِّكُمْ كَمَا قالَ سبحانَهُ عَن أهلِ رضوانِهِ وجَنَّتِهِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ: **" وأَجْمَعَ عُقَلاءُ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى أَنَّ النَّعِيمَ لَا يُدْرَكُ بِالنَّعِيمِ، وَأَنَّ مَنْ رَافَقَ الرَّاحَةَ فَارَقَ الرَّاحَةَ وَحَصَلَ عَلَى المَشَقَّةِ وَقْتَ الرَّاحَةِ فِي دارِ الرَّاحَةِ، فإِنَّهُ عَلَى قَدْرِ التَّعَبِ تَكُونُ الرَّاحَةُ "**.

يا طُلَّابَ الجِنَانِ جاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ في الإكثارِ مِن الطَّاعاتِ، فأكْثِرُوا مِن قراءَةِ كلامِ رَبِّكُمْ القرآنِ وَمِن الصَّدَقاتِ وقيامِ الليلِ، فإِنَّ الحياةَ أَيَّامٌ معدوداتٌ وأزمانٌ قَلَائِلُ.

وإِنَّ مِن أعظَمِ مَا تُنْفَقُ فيهِ صَدَقَاتُ الأموالِ دعوةَ الناسِ للتوحيدِ والسُّنَّةِ، فهذِهِ هِيَ الحياةُ الحقيقيَّةُ، حياةُ الوَحْيِ، حياةُ الكتابِ والسنةِ على فَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ، كَمَا قالَ تعالَى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وإِنَّمَا أُرْسِلَتْ الرُّسُلُ والأنبياءُ لِهَذا.

وإِنَّهُ لَينبَغِي للمؤمِنِ أنْ يكونَ وَجِلًا خائِفًا أنْ يَسخطَ اللهُ عليهِ وأَنْ يكونَ مِمَّنْ قالَ اللهُ فيهِمْ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

يا وَيْلَنَا مَن يُنَجِّينَا مِن هذا الموقِفِ إِذَا قَضَى عَلَيْنَا بِهَذا القَضَاءِ؟ وَإِلى أينَ المَهْرَبُ والمَفْزَعُ واللهُ يقولُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١].

اللهُمَّ إِنَّنَا نُنَاشِدُكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ أنْ تَرْحَمَ ضَعْفَنَا وَأَنْتَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ، فَتَجْعَلْنَا مِن عِبادِكَ الصَّالِحينَ المَرْضِيَّ عَنْهُمْ مِمَّنْ تُسْكِنُهُمْ جَنَّتَكَ دارَ رحمَتِكَ كَمَا قُلْتَ وقولُكَ حَقٌّ: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] فاللهُمَّ لَا مفَرَّ مِن سَخَطِكَ وأليمِ عِقَابِكَ إِلَّا إليكَ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وَإِنَّ النَّاصِحَ لنفسِهِ لَيَعْلَمُ أنَّ مِن أسبابِ النَّجاةِ العمَلَ الصالحَ، قالَ تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَأَنَّ اللهَ بِعَدلِهِ لَمْ يُسَوِّ بينَ الصالِحِ والطَّالِحِ والعامِلِ بطاعَتِهِ وبِسَخَطِهِ، قالَ تعالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

اللهُمَّ وَفِّقْنَا للطَّاعاتِ وتَرْكِ المُحرَّمَاتِ،

اللهُمَّ تقبَّلْ مِنَّا صيامَنَا، اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ أدْرَكَ ليلةَ القَدْرِ فقَامَهَا إيمانًا واحتِسابًا، اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ صامَ رمضانَ إيمانًا واحتِسابًا، اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ قامَ رمضانَ إيمانًا واحتِسابًا، اللهُمَّ تقبَّلْ زَكَوَاتِنَا ...